الدكتورة: نادية خطار

المحاضرة الخامسة: الوظيفة النصية و معاييرها

انطلاقا ما أن النص يتجاوز نطاق الجملة و يتعداها إلى كونه متوالية من الجمل تؤسس نظاما خاصا وفقا لأغراض معينة و سياقات محددة، غير أن هناك مسألة ينبغي مناقشتها يرد فحواها كالآتي: هل كل إنجاز لغوي يعد نصا؟ هل كل متوالية جملية تشكل نصا؟..لنأخذ المثالين الآتيين:

1- كان جالسا على الكرسي يقرأ الجريدة، قلب الصفحة مدققا في العناوين، ثم طوى الجريدة برفق و تركها جانبا وقف و خرج من الغرفة.

2- قال الطبيب للمريض: إنك في صحة جيدة ولا تحتاج إلى علاج مكثف. قبضت الشرطة على المجرم الذي طالما لاحقته. انتحر شاب رميا ملقيا نفسه من شرفة شقته الكائنة بحي شعبي وسط المدينة.

يبدو النص الأول **أكثر وضوحا وقبولا**، بينما يبدو الثاني **غامضا**؛ كونه لا يحدد غرضا معينا، وهذا الاختلاف هو الذي جعل علماء النص يفكرون في وضع قوانين تجعل النصوص واضحة مقبولة تحقق **نصيتها**.ذلك أن أي متوالية لا يمكنها أن تكون نصا ما لم تتوفر فيها أدنى **شروط الوظيفة النصية** وهي التي تجعل المتكلم قادرا على بناء النصوص أو الربط بين أجزاء الخطاب الواحد لما تقدمه له من وسائل الربط و خصائص السياق الذي تستخدم اللغة فيه، وهي التي تجعل السامع أو القارئ يميز نصا من مجموعة عشوائية من الجمل ، ويمكن أن نحددها في : الاتساق، الانسجام،القصدية،السياق،الإخبار،التناصية.

1-**الاتساق**: لا يؤلف النص وحدة تامة، ذات معنى ، وقابلة للفهم والادراك إلا من خلال الترابط بين وحداته الجزئية التي تظهر في غاية من الاتساق و التماسك، بحيث تستحضر عناصره النحوية التي تضمن ديمومة الجمل واستمراريتها من خلال إقامة علاقات وشيجة تكون لحمة واحدة شأن الجملة الواحدة.ويمكن أن نبين مجمل الأدوات الخاصة بعملية الربط التي تضمن ديمومة الجمل لدى علماء النص: - ضمائر الاحالة: أو ما يطلق عليه "هارفدج" بالاستبدال؛ وتعني إحلال تعبير لغوي

محل تعبير لغوي آخر، بحيث يحيل اللاحق إلى السابق ويكون ذلك في : أسماء الأعلام، أسماء عامة، الاشارات، الصيغ البديلة....إلخ.

الإعادة أو التكرار: و تعني تكرار تعبير معين من خلال تعبير أو عدة تعبيرات في الجمل، في صورة مطابقة إحالية. يظهر ذلك في تكرار وحدات معجمية، وحدات صرفية، ضمائر، تراكيب...إلخ.

الإضمار: وهو أن تدلّ وحدة تركيبية محذوفة على وحدة أخرى ظاهرة سابقة لها.(و أفضل الحالات تمثيلا لذلك هي الإشارة اللاحقة ، حيث ترد البنية بتمامها قبل ورود البنية المضمرة) و قد نضرب مثالا لهذا النوع بالآية الكريمة:(و أذان من الله و رسوله إلى النّاس يوم الحجّ الأكبر أن الله بريء من المشركين و رسوله)"التوبة/03". حيث أضمر التركيب المتعلق بالمسند إليه الثاني "رسوله"، الذي لا يفهم إلا من خلال المسند في التركيب الأول.

الوصل و الفصل: و يتعلق بظاهرة العطف بين الجمل، من خلال المكانة نفسها، أو بين قضيتين.أما الفصل، فيربط بين شيئين لهما مكانتان بديلتان.

الترتيب الزمني: و يتعلق بالتتابع الزمني للجمل، من خلال قرائن زمنية تنظم ترتيب الجمل. 2- **الانسجام**: أو ما يطلق عليه بالاتساق الدلالي ، ويتعلق هذا الجانب بترتيب المتوالية الجملية وترتيب العالم الدلالي الذي يتوافق في أغلب الأحوال مع إدراكنا لما يحيط بنا ، مما يعني أن هناك توافقا بين تصوراتنا المنطقية للعالم و المكونات النصية.لهذا السبب، لا يكون ترتيب الجمل اعتباطيا إنما تحكمها مبادئ معرفية تجريدية متعلقة بالإدراك أساسا، يحكمها (أساس دلالي محوري مجرد للنص"يطلق عليه البنية العميقة للنص أيضا"بينه و بين القضايا المتفرقة"مفاهيم الجملة و مضامينها" علاقات منطقية دلالية محددة) ومعنى ذلك أنه توجد في النص بنيات تجريدية دلالية، تنظم الدلالة الموجودة في النص في كل متكامل منظم، يمكن استنتاجها من خلال تتبع الجمل، وكيفية تكوينها لنواة أولية تبني المعنى.

يمثل الموضوع النواة التكوينية الأولى عندما ترتبط جملتان على الأقل، و تشتركان في شيء واحد، يكون مدار الكلام حوله، و به يتحدد، بحيث تكون الإحالة عليه على مدى استمرارية المتوالية الجملية، ليكون بنية دلالية كبرى، و يمكن أن تأتلف هذه البنية مع بنيات أخرى مشكلة البنية الأكبر للنص، التي تحدد المعنى الكلي المراد تشكيله في الوحدات اللغوية بحيث يكون قابلا للتفسير و التأويل في (خط داخلي يعتبر امتدادا بالنسبة لتفسير غيرها من العبارات الماثلة في المتتالية، أو الجمل المحددة

المتضمنة فيها و من هنا، فإن مفهوم النص، تتحدّد خصائصه بفكرة"التفسير النسبي"؛ أي تفسير بعض أجزائه بالنسبة إلى مجموعها المنتظم كليا). ومن هنا، يتخذ النص تماسكه الدلالي مما يسهّل عملية إدراكها و قبوله لدى المتلقي لبلوغ المقصود.

حسب"فان دايك" van dijk يمكننا تحديد البنيات الكبرى من خلال جملة من الإجراءات التي يمكن النظر إليها على أنها قواعد أساسية، و تتمثل هذه الإجراءات في:

1/الحذف و الاختزال: أي حذف كلّ المعلومات العرضية المتعلقة بالموضوع، مع العلم أن المعلومات المختزلة غير قابلة لأن يعاد بناؤها و تأليفها من جديد.

2/حذف معلومات جوهرية: تكون هذه المعلومات (مقومة لمفهوم أو إطار، ما أعني أنها تخصص عللا متعارفة أو متوقعة كما تخصص أسباب الحوادث و نتائجها، و أسباب الأفعال و آثارها و الأفعال التمهيدية و المساعدة و الوقائع المتشابكة التعقيد و التصرفات و الأغراض ، كما تخصص أخيرا الفضاء المحيطي"زمان، مكان،عالم..." المتعلق بالشيء، و الفعل و الحدث).

3/التعميم و التبسيط: يقوم على أساس الحذف، لكنّه يأتي لغرض التأليف أو الاندماج.تتحدد البنيات الكبرى على هذه الشاكلة، و بها يظهر النص بوصفه وحدة تامة منسجمة.

3-**القصدية**: يرتبط أي إنجاز لغوي بذات متكلمة، تقوم بالفعل وفق استراتيجية محددة يتوخاها المتكلم؛ لتحقيق أهدافه أولا، و لأجل إبلاغ محتوى الرسالة ثانيا، ذلك أن معنى الرسالة اللغوية لا يتضح إلا من خلال معرفة القصد من وراء الكلام أصلا، وعليه، فإن المعنى متصل بالقصد الذي هو جوهر السيرورة التواصلية وعماد المعنى ...ذلك أن القصد توجه مباشر إلى الموضوع ؛ ليتماهى مع فعل الإدراك من قبل الذات وعلى الذات أن تدرك الموضوع أولا ثم ترسم خطة واضحة للكلام ثم تختار كل العمليات اللغوية الممكنة؛ لتحقيق القصد و التأثير في المتلقي وجلب اهتمامه ليبلغ في الأخير القصد من الكلام.

و من ثمة، يجب أن تكون العمليات اللغوية متوافقة مع خطة الكلام، ذلك أن القصدية بالمعنى الأوسع تشير إلى(جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة

مقاصدهم و تحقيقها) من خلال الفعل التواصلي المؤطر بسياق ما، و لذلك فمن الضروري مناقشة السياق في الفاعلية النصية.

4/**السياق**: لا يتكون النص من وحدات لسانية وحدها ، بل تتدخل عوامل خارجية تؤثر في كيفية بنائه، فالنصوص تنتج في ظروف معينة لأداء أغراض معينة، ولذا يجب أن يؤخذ السياق بعين الاعتبار في أثناء تشكيل النصوص .وعليه، سيصبح السياق مكونا أساسيا من مكونات النص، يعمل على تأطيره و ضبطه و توجيهه وجهة خاصة، بحيث يتم للمتلقي تلقيه على الشكل المراد و الاتساق مع ظروف انتاجه.

قد تختلف ظروف التلقي، لكن ينبغي للنص أن يحددّ ذلك من خلال قرائن لغوية داخلية تحيل إلى المرجع الخارجي حتى يتحقّق للمتلقي فعل الفهم هذا من جهة، ومن جهة ثانية على المتلقي محاولة بناء هذا السياق من خلال النص ما دام النص مرتبطا بظروف إنتاجه.

يمثّل السياق حضورا أساسيا في تشكيل النص، ممّا يعني أن الاتساق و الانسجام عنصران متعالقان أساسا مع الظرف الخارجي الذي يحدّد كلّ الاختيارات اللسانية و ينظم كل العمليات الانجازية. و لا يقتصر تأثيره في هذا المجال فقط بل يتجاوزه إلى رسم خارطة أنواع النصوص و ربطها بظروف إنتاجها بحيث تكون(متضمنة دائما في مواقف تواصل يمكن حدها؛ فثمة عوامل موقفية تؤثر بشكل جوهري في تشكيل بنية النص. و على علم أنواع النصوص أن يضع هذه العلاقة في الإعتبار و أن تسند أنواع النصوص إلى أنماط من مواقف التواصل)لا يظهر السياق في النص في صورة كلية شاملة، إنما يتمظهر في مجالات تسمح لنا بتعيين السياقات المختلفة، و لعلّ أهمّ هذه السياقات:

-السياق التداولي: وهو اعتبار النص فعلا للغة أو متتالية من أفعال اللغة.

-السياق المعرفي: يتعلق بفعل التأويل حيث يعطي المتلقي معنى للنص من خلال بناء العالم الدلالي؛ أي الفهم.

-السياق الاجتماعي:حيث إن الأفعال اللغوية تنجز داخل تفاعل تواصلي بين الأفراد ضمن منظومة اجتماعية، تضبطها، و تؤطرها.

-السياق النفسي: يتعلّق بتأثير النصوص، ووقعها على مستعملي اللغة.

-السياق الثقافي: ترتبط أفعال اللغة بمنظومة ثقافية، تحدّد خصوصية النصوصو كيفية تلقيها.

الإخبار:

كلّ نص يحتوي –بالضرورة- قيمة إخبارية يسعى إلى إبلاغها حيث يحمل بين ثناياه كمّا من المعلومات المنظّمة يستقبلها المتلقي و يضمها إلى مخزونه الخاصة.

و يقوم النص على أساس إبلاغ المتلقي معلومات قد يكون تلقاها أول مرة فتسمح له بالاطلاع على العالم المعرفي للنص و عليه، فليست المعلومات منعزلة عن عالم النص الدلالي لأنها بمثابة المحتوى الفعلي الذي ينظّم لدى المتلقي شبكة المعلومات المبنبنة بحيث يسهل إدراكها و التعرف إليها، فكلّما كانت البنية أكثر انتظاما كانت أقرب إلى التعرف و الترسّخ في الذاكرة.

نستطيع القول: إنّ الكثافة الإخبارية في النص ترجع بالدرجة الأولى إلى البنية في حذ ذاتها، وعلى هذا الأساس فإن المتلقي يتوقّع دائمامن النصوص معلومة جديدة أو معرفة جديدة، ولكنه كثيرا ما يصاب بالإخفاق حينما يصادف نصوصا تخرق أفق توقّعه و هو أمر مرتبط بنوعية النصوص في حد ذاتها.

قائمة المصادر و المراجع المعتمدة:

جوليا كرستيفا، علم النص،تر/ فريد الزاهي.

حسين خمري، نظرية النص في النقد المعاصر.

سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط(مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي).

محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي، مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي.

كلاوس برينكر،التحليل اللغوي للنص.

إلهام غزالة، علي خليل، مدخل إاى علم لغة النص.

سعيد حسن بحيري،علم لغة النص.

صلاح فضل،بلاغة الخطاب و علم النص.

فان دايك، النص و السياق(استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي).

أحمد يوسف، سيميائيات التواصل و فغاليلت الحوار.